الملتقى الوطني الموسوم ب: الهوية والوحدة الوطنية في أدبيات الحركة الوطنية ومواثيق الثورة الجزائري(1830-1962م)

جامعة يحي فارس المدية يوم 31أكتوبر2022

عنوان المداخلة: مفهوم الهوية الوطنية عند جمعية العلماء المسلمين

ط.د: بوغرة نسرين **E mail : bougheranesrine@gmail.com**

الملخص :هدفت هذه الورقة البحثية إلى البحث في حيثيات مفهوم الهوية عند جمعية العلماء المسلمين ،حيث استمدت جمعية العلماء المسلمين مفهومها للهوية الوطنية من خلال المبادئ والأهداف التي سطرتها الجمعية للعمل عليها في نشر فكرها الإصلاحي بعد التأسيس، وأقر رواد الجمعية أن عناصر الهوية الوطنية منبثقة من شعار الجمعية المتمثل في الإسلام ديننا ،والعربية لغتنا ،والجزائر وطننا له تاريخه العريق وعملت الجمعية على تجسيد هذا الشعار على أرض الواقع من خلال استخدام وسائل كثيرة كالصحافة ،وانشاء المؤسسات التعليمية ،والمساجد ،والنوادي الثقافية ،وذلك من أجل استعادة رموز الهوية العربية الإسلامية الجزائرية وإيقاظ الجزائريين وتوعيتهم بالخطر المحدق بدينهم ولغتهم ،وتاريخهم هذا من جهة ،ومن جهة أخرى العمل على محاربة المستعمر الفرنسي وحملاته التغريبة والتنصيرية والاستشراقية الشرسة على الشخصية الجزائرية .

الكلمات المفتاحية: الحركة الوطنية الجزائرية، الهوية الوطنية، مفهوم الهوية الوطنية، جمعية العلماء المسلمين.

Abstract:

This research paper aimed to research the rational for the concept of identity among Muslim scholars association, where that association derived its concept of identity from the principle and goals that it formulated to work on in spreading its revolutionary thought after its founding. This association acknowledged that the elements of national identity emanated from the slogan, Islam is our religion, Arabic is our language, and Algeria is our homeland has its history. The association worked to embody this slogan on the ground by using many on the such as the press and the establishment of educational instituons, mosques and cultural clubs in order to restore the Arab-Algerian-Islamic identity and awakening the Algerians and making them aware of this danger on the one hand ,and on the other hand, working to fight the French western Christianisation and orientalist campaigns against the Algerian person.

Key words: Algerian national movement, national identity, the concept of national identity, Muslim scholar association.

مقدمة

تعد قضية الهوية الوطنية من بين القضايا التي شغلت رواد الحركة الوطنية الإصلاحية وخاصة الاتجاه الإصلاحي المتمثل في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،الذي كانت له جهود جبارة في الحفاظ على رموز الهوية الوطنية واعتبارها الأساس الأول الذي أقامت عليه دعوتها ومشروعها الإصلاحي من جهة ،ومحاربة الاستعمار الفرنسي والموالين له الذين سعو إلى محو رموز الهوية العربية الإسلامية للجزائريين ومحاولة استبدالها بالهوية الفرنسية المسيحية وادماجها فيها من خلال سياساتها التغريبة، التنصيرية، الإدماجة ،الاستشرافية ،فكانت الجمعية لهذه المشاريع بالمرصاد، وذلك من خلال التعريف بمعالم الهوية الجزائرية العربية المسلمة من دين ولغة عربية وتاريخ الجزائر العريق باستخدام كافة الوسائل المتاحة من محاضرات ،انشاء مدارس حرة ،إصدار صحف إصلاحية ،ودروس مسجديه وعظيه وإرشادية ، بالإضافة إلى انخراطها الغير معلن في السياسة دفاعا عن جزائرية الجزائر، حيث لم تترك الجمعية مجالا للاستعمار لبسط نفوده على أرض الجزائر الطاهرة ،بل راحت تواجه كل مخططاته ،رغم تكالبه والموالين له في الحد من كل خطوة تخطوها الجمعية نحو تحرير الفكر الجزائري من غياهب الجهل، والأمية، والأوضاع الكارثية التي فرضها الاستعمار وبعض الدراويش الدين استعملتهم فرنسا لتحقيق أهدافها ،فأضحت الجمعية تواجه نوعين من الاستعمار استعمار خارجي متمثل في فرنسا واستعمار داخلي متمثل في الجماعة التي تهاجم المصلحين والإصلاح ،وكل ذلك فعلته الجمعية في سبيل تحرير معالم الهوية العربية الإسلامية من قبضة المحتل .

أولا: الإشكالية

عاشت الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي سنوات عجاف من الذل والهوان بفعل السياسة الفرنسية الوحشية التي استهدف مقومات الهوية العربية الإسلامية للشخصية الجزائرية من ،لغة ،ودين ،وتاريخ بالدرجة الأولى محاولا مسخها في الشخصية الفرنسية ،مسخرا لذلك كل الوسائل والأساليب ،حيث ؛شرع مند إعلان قرار (الإلحاق إلحاق الجزائر) بفرنسا سنة 1934 في تنفيد مشاريعه التغريبة التنصيرية التأهيلية والاستشراقية على أرض الجزائر الطاهرة ،فاستهدف أول ما استهدف تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي لأن في وجود هذين العنصرين خطر على وجوده ،فراح يهدم المؤسسات التعليمية والمساجد والزوايا ويقطع عنها مواردها المالية من أموال الأوقاف والمحسنين ،وتحويل البعض لإصطبلات ،مع إقرار اللغة الفرنسية كلغة رسمية للجزائر ،ولتوسيع نفوده وسيطرته عمل على جلب مستوطنين من أنحاء أوروبا لتوطينهم في الجزائر على حساب الأهالي الجزائريين

ما أدى إلى تدهور حياة الجزائريين على كافة المستويات ،هذا وبالإضافة إلى الاستيلاء على أملاك الشعب الجزائري ووضعها تحت تصرف المستوطنين ما جعل من الجزائريين غرباء في وطنهم ،ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل راح إلى إصدار قوانين وقرارات زجرية عشوائية خانقة للحرية الجزائرية ، تمس كل تعد على الوجود الفرنسي في الجزائر ،منها قانون الأندجينيا الزجري ،قانون كريميو، قانون التجنيد الإجباري وغيرها من القوانين الزجرية في حق هذا الشعب ،إضافة إلى الحملات التنصيرية التي شنتها فرنسا على الجزائريين مستغلة ظروف القهر والجمود الفكري والمجاعات للقضاء على الدين الإسلامي وتجنيس الجزائريين وتنصيرهم ولو بقوا دون دين ،غير أن هذه الأوضاع لم تبقى على حالها نتيجة بروز نهضة فكرية أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين حيث ،حيث ظهرت المقاومة الجزائرية للمستعمر في حلة جديدة سلمية سياسية بوسائل مختلفة كردة فعل جزائرية على السياسات الوحشية للمستعمر ،وكانت نتيجة بروز نخبة من المثقفين الجزائريين حملوا على عاتقهم هم الجمود الفكري الذي كرسه الاستعمار في الجزائر لمدة تزيد عن نصف قرن من الزمن ،حيث تبلورت المواقف ،وتوالت الأحداث وتمخضت نتيجة مخلفات الحرب العالمية الأولى على الجزائريين وبرز جو سياسي جديد انتعشت فيه الحركة الوطنية الجزائرية ببروز اتجاهات مختلفة منها من حمل لواء الدفاع عن الهوية الوطنية ومنها من نادى بدمجها في الشخصية الفرنسية ولعل من أبرز الاتجاهات التي حملت راية الدفاع عن الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري الاتجاه الإصلاحي بزعامة جمعية العلماء المسلمين ،حيث لعب هذا الاتجاه دورا مهما في الحفاظ على الهوية الوطنية للشعب الجزائري وعملت كلما في وسعها على صيانة عناصر تكوينها من دين ولغة وعادات وتقاليد وتاريخ، وذلك من خلال تصديه لهجمات الاستعمار الشرسة التي كان يطمح الاستعمار من خلالها لجعل الجزائر فرنسية ،ومن هنا جاءت هذه الورقة البحثية لتنحت في مفهوم الهوية عند جمعية العلماء المسلمين وجهودها في الحفاظ عليها؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية أسئلة فرعية:

- ماهي مبررات تكون مفهوم الهوية عند علماء الجمعية؟

- فيما يتمثل مفهوم الهوية عند الجمعية؟

- ماهي الوسائل التي انتهجتها الجمعية للحفاظ على هذا المفهوم؟

ثانيا: ضبط المفاهيم:

1-مفهوم الهوية:

أ–لغة: فالهوية من حيث اللغة مأخوذة من "هو" بمعنى أنها جوهر الشيء ،وحقيقته أي أنها تشكل خاصية أساس لكينونة الموجود " [1]،وتعرف الهوية على أنها مشتقة من لفظ هوى يهوي هوة ومفرد الهوية تصغير لهوة ،وهي الفوهة العميقة ،أو البئر البعيدة الهوة [2]،ويتداخل مفهوم الهوية مع مفهوم الماهية ،فالهوية لغويا أن يكون الشيء هو هو وليس غيره ،وهو قائم على التطابق أو الاتساق في المنطق ،والماهية أن يكون الشيء "ماهو"بزيادة حرف الصلة "ما "على الضمير المنفصل "هو «والمعنى واحد وكما يتداخل مفهوم الهوية مع مفهوم الماهية فإنه يتداخل أيضا مع مفهوم الجوهر وتنتسب المفاهيم الثلاثة إلى جدر معنوي واحد ،والهوية خاصة بالإنسان والمجتمع ،الفرد والجماعة وهي موضوع انساني خالص[3]،والهوية في اللغة العربية مصدر صناعي مركب من "هو «ضمير المفرد الغائب المعرف بأداة التعريف "ال"ومن اللاحقة المتمثلة بال"ي" المشددة وعلامة التأنيث أي "ة" [4]

ب–الهوية اصطلاحا: تعددت وتنوعت مفاهيم الهوية في الاصطلاح كل حسب مفهومه وتخصصه ومن بين هذه المفاهيم نجد: يعرفها الجرجاني في كتاب التعريفات على أنها: الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب. [5]

وعرفها ابن رشد على أنها تقال بالترادف على المعنى الذي يطلق على الموجود، وعند الفارابي هوية الشيء: عينيته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المتفرد له الذي لا يقع فيه إشراك، ويرى نديم بيطار أن الهوية الأمة هي هوية تاريخية والتاريخ هو الذي يشكلها، وهو يعني أن لا وجود لهوية خارج المجتمع والتاريخ فالأمة وحدها تمتلك هوية سواء كانت جماعة صغيرة أو كبيرة بشرط تماثل أفرادها وأنصارهم في الوجود المجتمعي الجماعي وأي فرد لا يستطيع أن يستقل عن الجماعة في هذا الإطار، أي أنه في حاجة إلى هوية تجمعه مع الآخري .[6]

فالهوية بمفهومها الشامل فهي تعبر عن خصوصيات الأفراد والمجتمع وترتبط في المستوى الدولاتي مع موضوع المواطنة بحيث يبرز مصطلح "الهوية الوطنية الذي يشير إلى الانتماء للوطن وفق فكرة الجسم الوطني الذي يعبر عنه أفراد المجتمع بحيث تكون امتداد للهوية الفردية المتوارثة أجيالا بعد أجيال بذلك فإن معطياتها تكون متجددة ومستمرة ومتنوعة المكونات وديناميكية الهويات الداخلية. [7]

مفهوم الحركة الوطنية الجزائرية: اختلف الباحثون في تحديد تعريف للحركة الوطنية الجزائرية لعدم اتفاقهم على بداياتها، وبداية الوطنية الجزائرية فينقسمون إلى فريقين، الفريق الأول يؤرخ لها فيرجعها إلى حركة الأمير خالد وبالدات (1919–1923) ونشأة منظمة "نجم شمال افريقيا "سنة 1926، وهناك من يؤرخ لبدايتها فينطلق من سنة 1912عند فرض فرنسا التجنيد الإجباري على الجزائريين ومعارضة الرأي العام له وما ترتب على ذلك من توتر عام. [8]

مفهوم الحركة الإصلاحية : وتتمثل الحركة الإصلاحية في شكل من أشكال المقاومة الوطنية الجزائرية التي ظهرت منذ نهاية الحرب العالمية الأولى حيث تغير مركز الكفاح الوطني الجزائري من الأرياف إلى المدن فقد برز عنصر جديد متداخل تمثل بظهور الحركات الوطنية السياسية ،ما أدى إلى ظهور العديد من التنظيمات السياسية نوقد ساعد على ظهور هذه التنظيمات العدد من المؤثرات الداخلية والخارجية منها السياسة الإستعمارية الفرنسية في الجوانب السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية ومنها ما يتعلق بردود الفعل الوطني وخاصة الحركة الأدبية إضافة إلى الصحافة الوطنية ،وكذلك المؤثرات العربية المشرقية سواء عن طريق الاتصال المباشر بقيادة الحركة الفكرية الإصلاحية والقومية العربية في المشرق العربي أو عن طريق الصحافة وغير ذلك كل هذه العوامل أسهمت في انضاج الوعي الوطني السياسي الذي أخذ يتكتل في تنظيمات سياسية ظهرت في مطلع العشرينات من القرن الماضي[9]، غير أنه لا يمكن أن تقتصر الحركة الإصلاحية الجزائرية على فترة ما بعد الحب العالمية الأولى إنما كان ظهورها أواخر القرن التاسع عشر مع بروز المصلحين الجزائريين الأوائل من أمثال الشيخ المجاوي والموهوب ،وابن سماية، ولونيسي وابن قدور الجزائري ،وعمر راسم وغيرهم من الذين كان لهم تحركات وطنية إصلاحية قبل الحرب العالمية الأولى على مستويات ثم بعد الحرب العالمية الأولى تبلورت الحركة في شكل جهود فردية وأيضا جماعية تمثلت جمعية العلماء المسلمين: و يمثل تاريخ تأسيس جمعية العلماء المسلمين حدث مهم في تاريخ الجزائر المعاصر حيث تأسست جمعية العلماء المسلمين في الخامس ماي 1931بالعاصمة ،وقد ضمت 72عالما جزائريا من مختلف أنحاء القطر الجزائري ومن مختلف الاتجاهات الدينية ،فقد كان فيهم المتطرفون وهم الإصلاحيون ،وفيهم الرجعيون وهم غير المصلحين من رجال الدين الجزائريين ،وقد تكونت لجنة تأسيسية في العاصمة برئاسة السيد عمر إسماعيل ووجهت الدعوات للحضور وحددت تاريخ ومكان الاجتماع وتألف المجلس الإداري من ثلاثة عشر عضوا على رأسهم الشيخ عبد الحميد ابن باديس الذي كان انتخابه غيابيا[10]،حيث ؛جاء تأسيسها إثر احتفال فرنسا بمرور قرن على احتلالها للجزائر وهو احتلال أعطته من العناية والميزانية عناية فائقة وخلال الاحتفال القرني أظهر الفرنسيون حقدا دينيا ،وعودة على الصليبية حتى قال أحدهم :"ان احتفالنا اليوم ليس احتفالا بمرور مائة سنة على احتلالنا للجزائر ،ولكنه احتفالا بتشييع جنازة الإسلام "[11]،ووضع الإبراهيمي دستور الجمعية وقانونها الأساسي ،وأصبح نائبا لرئيسها الإمام ابن باديس ،مند عام 1933 [12]،كان وراء إنشاء هذه الجمعية نخبة من المثقفين الجزائريين الذين عادو من مشارق الأرض ومغاربها متعلمين ومتأثرين بالنهضة المشرقية وبالحركات الإسلامية التي قادها محمد بن عبد الوهاب ،جمال الدين الأفغاني ،ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا وكانوا مؤمنين بفكرة الجامعة الإسلامية ،ومن الذين تتلمذوا على يد رواد الإصلاح الجزائريين الأوائل من أمثال عبد القادر المجاوي وابن الموهوب وابن سماية ولونيسي وغيرهم ..) من أمثال هؤلاء المفكرين الذين

حملوا على عاتقهم هم الدفاع عن الهوية العربية الإسلامية، والذين لا يمكن عدهم في هذا المقام نجد الشيخ ابن باديس، والإبراهيمي، والعقبي، والميلي، وابن بيوض، أبواليقضان، المدني، وغيرهم من المصلحين.

ثالثا :مبررات اهتمام جمعية العلماء المسلمين بموضوع الهوية الوطنية: وقبل التطرق إلى مفهوم ومكونات الهوية عند جمعية العلماء المسلمين لابد أن نتطرق إلى أسباب تكون هذا المفهوم، فمن المعلوم أن الاستعمار الفرنسي عندما دخل الجزائر سنة 1830 حاول بكل ما أوتي من قوة القضاء على مكونات الشخصية العربية الجزائرية الإسلامية وذلك من خلال بسط نفوده على أرض الجزائر ابتداءا من قرار الإلحاق سنة 1834حيث،شرع المستعمر الفرنسي في تطبيق سياساته الوحشية التي جاءت بها الحكومات الفرنسية المتعاقبة على الجزائريين بدءا بالقضاء على مدارس اللغة العربية وتهديم المساجد والزوايا وقطع الموارد المالية التي كانت تستند إليها من أموال الأوقاف ، وفي مقابل ذلك حاولت استبدال اللغة العربية باللغة الفرنسية كلغة رسمية في الجزائر، وحاولت استبدال الدين الإسلامي بالدين المسيحي من خلال شن حملات تنصيرية واسعة مستغلة بذلك الأوضاع المزرية للجزائريين من فقر وفاقة ومرض وعوز وغيرها ،وهنا يتضح أن معاول فرنسا كانت موجهة لهدم المكونات الأساسية للهوية العربية الجزائرية الإسلامية فاستهدفت بالدرجة الأولى اللغة العربية لغة القرآن الكريم وتعليمها من خلال منع تدريسها وجعلها لغة أجنبية ،والدين الإسلامي الذي يعد بمثابة الأصل الثابت للجزائريين ،وبلد الجزائر وتاريخها العريق محاولا محوه ومسخه في الثقافة الفرنسية ،ولم ترتكز معاول هدم الشعب الجزائري من قبل المستعمر على هذه السياسات الوحشية فقط، وإنما تعدت إلى محاولة القضاء كليا على الفرد الجزائري انطلاقا من الخسائر المادية والبشرية التي خلفها فشل المقاومات الشعبية للاستعمار في بداياته ،ومن خلال إصدار قوانين عشوائية زجرية حالت دون تمتع الجزائري بهويته في أرضه، ومن بين هذه القوانين نذكر قانون الأندجينيا 1871، ،قانون كريميو،قانون التجنيد الإجباري 1912،وغيرها من القوانين...)،وكنتيجة أو كرد فعل جزائري على هذه الأوضاع المزرية التي خلفها الاستعمار الفرنسي على الشخصية الجزائرية ،ظهرت نخبة من المثقفين الجزائريين ثقافة عربية إسلامية أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وتكتلت في شكل نوادي ثقافية وجمعيات حملت راية الدفاع عن الهوية الجزائرية العربية الإسلامية وهو ما مثلته جمعية العلماء المسلمين وروادها المصلحين من خلال اتخاد آليات ووسائل مختلفة وتسطير برامج لتحقيق هذا الغرض .

ومن بين المبررات أيضا منح فرنسا الجنسية الفرنسية لكل الأشخاص الذين ولدو بالجزائر من أبوين أجنبيين ،وبذلك يحق للأجانب وأبنائهم ،ولليهود وابنائهم أن يتمتعوا بكامل الميزات الفرنسية الحاكمة ،وكذلك استيلاء فرنسا على أراضي الافراد والقبائل والأعراش ووزعتها على الأوروبيين الوافدين ،إما مع الجيش الفرنسي المحتل أو مع المغامرين بقصد اضعاف الروح القبلية ،والقضاء على الملكية الوطنية ،وتطبيق سياسة التفريق بين العناصر

المساكنة وأرادت أن تخلق من سكان الجزائر شعوبا ،لا يربط بينها رابط بل أثارت النعرات القبلية حتى في داخل المنطقة الواحدة ما يفسر استهدافها لضرب الهوية الوطنية [13]،إذن فإنشاء جمعية العلماء المسلين الجزائريين كان في الوقت المناسب وكان ضرورة صوى تفتضيها الظروف والتحديات ردا على الادعاءات الإستعمارية بأن عهد الإسلام قدانتهى ،وبأن الثقافة العربية الإسلامية اندثرت ولم يعد لها وجود. [14]

رابعا: مفهوم الهوية الوطنية لدى جمعية العلماء المسلمين :يتضح من خلال مواثيق جمعية العلماء المسلمين أن مفهوم الهوية عند الجمعية يتضح من خلال مبادئها وأهدافها حيث سطرت الجمعية في برامجها وضمن مبادئها وأهدافها وضمن أولوياتها ورسالتها ودعوتها الحفاظ على مكونات الهوية الجزائرية فنجد أن الجمعية سطرت برنامجها على ثلاث زوايا وهي دينية واجتماعية ثقافية ،وسياسية رغم أن الزاوية الأخيرة لم تكن صريحة فتحت قيادة ابن باديس عملت الجمعية على نشر الإسلام بحرية بطريقتهم الإصلاحية الخاصة ،وفصل الدين عن الدولة ،والقضاء على الطرقية الغامضة ،وعلى المستوى الاجتماعي الثقافي أسسوا المدارس العربية الحرة والنوادي الثقافية والمجلات الأدبية وحاربوا الأمراض الاجتماعية أما على المستو السياسي فإن العلماء فقد وقفوا في صالح كيان (أمة)جزائري ينفصل في النهاية عن فرنسا، وعارضو بشدة تجنيس ودمج الجزائر في فرنسا وفي سنة 1934حددت "الشهاب "مجلة الجمعية غير الرسمية في عددها الصادر في ماي هدف الجمعية بقولها إنه يتمثل في إصلاح الشعب الجزائري العربي من الوجهة الدينية، والوطنية ،والأدبية، والعلمية لذلك جعلت أول مبدأ من مبادئها الدين الإسلامي هو دين الإنسانية ،والدعوة لكتاب الله وسنة نبيه ، والدعوة للتوحيد، والعمل الصالح ،ونبد البدع والخرافات ومحاربة الطرقيين والمرابطين[15] ، كماحددت الجمعية أهداف كثيرة نذكر من بينها: ما لخصه أحد أعضاء الجمعية سنة 1935 أهدافها فيما يلي : إحياء الإسلام بإحياء القرآن والسنة، وإحياء اللغة العربية وآدابها وإحياء التاريخ الإسلامي وآثارقادته،كما كان من أهداف الجمعية إيقاظ الجزائريين من نومهم لكي يطالبوا بحقوقهم ويأخذوا مكانهم في الحياة الكريمة، وتخليص الدين من الخرافات[16]،كما جاء في خطاب البشير الإبراهيمي ،أن الغاية من إنشاء الجمعية هو إحياء مجد الدين الإسلامي وإحياء مجد اللغة العربية فأما إحياء مجد الدين الإسلامي فبإقامته كما امر الله أن يقام بتصحيح اركانه الأربعة العقيدة والعبادة والمعاملة والخلق ،فكلكم يعلم ان هذه الأركان قد أصبحت مختلة ،وأن اختلالها أوقعنا فيما ترون من بلايا ومصائب وآفات ،....وأما إحياء مجد اللسان العربي فلأنه لسان هذا الدين والمترجم عن أسراره ومكنوناته لأنه لسان القرآن الذي هو مستودع الهداية الإلهية العامة للبشر كلهم وكلكم يعلم أن هذا اللسان ضاع من بيننا فأضعنا بضياعه كل ذلك التراث الغالي النفيس من دين وتاريخ ،وأن اللغة هي المقوم الأكبر من مقومات الاجتماع البشري وما من أمة أضاعت لغتها إلا وأضاعت وجودها ،أستتبع ضياع اللغة ضياع المقومات الأخرى[17] ومن هنا يتضح جليا معنى ومفهوم الهوية عند جمعية العلماء المسلمين حيث ألمت الجمعية وأحيط أعضاءها علما بكل ما من شأنه المساس بالفرد الجزائري من حيث مكونات شخصيته ن دين إسلامي ولغة عربية وتاريخ الجزائر الطاهرة وعزم

هؤلاء المصلحين على العمل الجماعي في أرض الواقع على تجسيد أفكار الجمعية وأهدافها وكانت بالفعل نتائج مثمرة من خلال استخدام وسائل مختلفة ما يفسر المشروع النهضوي الشامل الذي جاءت به الجمعية .

ويبرز أيضا مفهوم الهوية عند جمعية العلماء المسلمين من خلال الشعار الذي اتخذته الجمعية رمزا لها معبرا عن مشروعها الإصلاحي ويتمثل هذا الشعار في **"الإسلام ديننا "و"العربية لغتنا " والجزائر وطننا** "هذا الشعار الذي يحمل أبعادا كثيرة في طياته لبناء دولة جزائرية منفصلة كل الانفصال عن فرنسا ،وتحت هذه الراية بدأ ابن باديس ومؤيدوه يدعون إلى أفكار وطنية ومذهبية كانت تجتذب انتباها كبيرا من الأهالي الجزائريين وكانت هذه الحملة الدعائية قد تحققت بعناية خلال سلسلة من المدارس ،والجرائد ،والنوادي الثقافية ،ثم خلال الوعظ والإرشاد في المساجد[18]، حيث يمكن توضيح معنى هذا الشعار في النقاط الآتية :

أ–الإسلام ديننا :أدرك علماء الجمعية أن الدين الإسلامي هو الحصن الحصين لهذه الدولة من الضياع والذوبان في فرنسا المستعمرة ،فراحوا يعلنون شعارهم "الإسلام ديننا "والملاحظ أن اكتساحه المرتبة الأولى من الشعار إنما يدل على الأهمية البالغة لهذا الدين وأنه الأساس والمكون الرئيس للهوية الجزائرية ،لذلك هدفت الجمعية أولا إلى حصانة هذا الدين من الضياع فأقامت دعوتها على الإصلاح الديني بأوسع معانيه ،ومحاربة كل البدع والشوائب الدخيلة على هذا الدين وكذلك محاربة المبتدعين والطرقيين واعتبار مقاومتهم هي مقاومة كل شر والقضاء عليهم هو القضاء على كل باطل ومنكر وظلال وأنه لا يتم في الأمة الجزائرية إصلاح في أي فرع من فروع الحياة مع وجود هذه الطرق المشؤومة بما فيها من افساد للعقول وقتل للمواهب [19]،لذلك ارتكزت أهداف الجمعية على حماية الدين الإسلامي وحفظه من الشوائب الدخيلة عليه حيث ذكرت "الشهاب" الجريدة غير الرسمية للجمعية في حديثها عن أهداف الجمعية فكان من بينها العمل على تخليص الدين من الخرافات ،حيث كان العلماء يعملون لتطهير الإسلام وتكوين كيان جزائري قائم على الثقافة العربية الإسلامية ،فنجد أن الجمعية كانت لها رؤية شاملة في الحفاظ على رموز الهوية الوطنية حيث وقفت ضد كل متعد على رمز من رموزها ومن ذلك معارضة ابن باديس للسيد فرحات عباس عند نفيه وجود أمة جزائرية في التاريخ حيث رد عليه رئيس الجمعية ابن باديس بأنه قد نظر في الماضي والحاضر ووجد أن الأمة الجزائرية قد تكونت عبر العصور، وأن لهذه الأمة تاريخها ودينها ولغتها وثقافتها وخصائصها ،وأن هذه الأمة ليست فرنسية ولا تستطيع أن تكون فرنسية ولا تريد أن تكون فرنسية [20]

فالجمعية انطلقت من مفهوم شامل وتصور منطقي في مشروعها الإصلاحي والهادف للحفاظ على أحد أهم رموز الهوية الوطنية لذلك نجدها حتى في تأسيسها ضمت رجال من مختلف المذاهب الفكرية والدينية حيث لم تفرق بين أبناء الوطن دلالة على أنها كانت تمشي في طريق الوحدة الوطنية ونبد التفرقة التي نهى عنها ديننا الحنيف والتي كان يسعى الاستعمار إلى تجسيدها بين أبناء الوطن بقولها هذا عربي وهذا بربري أمازيغي ،فقد ضمت

الجمعية 72عالم جاؤوا من مختلف أنحاء الوطن من مختلف الاتجاهات الدينية ،فكان فيهم المتطرفون والمصلحون وفيهم الرجعيون حوهم غير المصلحين من رجال الدين. [21]

ب–العربية لغتنا :تعتر اللغة العربية رمز من رموز الهوية العربية الإسلامية ،حيث سعت جمعية العلماء المسلمين إلى الحفاظ على هذا الرمز من الضياع وكانت جهودها غاية الممكن في ذلك باعتبارها ركيزة أساسية ينطلق منها مشروعها الإصلاحي ،وذلك بتغيير الأوضاع الثقافية للمجتمع الجزائري إلى أحسن الأحوال من خلال محاربة مظاهر الأمية في المجتمع الجزائري والدعوة إلى التعليم العربي والدفاع عن اللغة العربية ،فقد استمر الاستعمار في الجزائر في سياسة التجهيل تمشيا مع الأساليب الإستعمارية العامة التي تهدف إلى تمكينه من البقاء أطول مدة ،ورغم أنه في أواخر القرن التاسع عشر كان مشغولا بحروب الاحتلال ،ومواجهة الثروات الوطنية ،إلا أنه لم يغفل عن تأسيس مدارس فرنسية لنشر وتشجيع اللغة الفرنسية ،ومقاومة الثقافة القومية العربية باعتبارها من أهم العوامل التي تساعد على إحكام احتلال البلاد وإخضاع أهلها ،ومند بداية القرن العشرين أخدت الإدارة الإستعمارية تهتم أكثر بمقاومة تعلم اللغة العربية والتضييق على أصحابها الراغبين في تعليمها بواسطة إصدار قوانين وتشريعات غريبة وخطيرة ومن بينها قرار 8مارس 1938 الذي أصدره وزير المعارف الفرنسي الذي ينص على اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر ،ويمنع تعليمها تبعا لذلك في الجزائر [22]غير أن جمعية العلماء المسلمين كانت لهذه السياسة بالمرصاد حيث كانت تدعو بمختلف وسائلها لنشر التعليم العربي وتعليم اللغة العربية ،ولو كان التعليم العربي في أحسن الأحوال في الجزائر المحتلة ما أقامت جمعية العلماء المسلمين خمسة عشر عاما تطالب من غير ملل بحرية التعليم العربي الذي هو أساس التعليم الديني ولما صارعت القرارات والقوانين الإدارية الموضوعة لخنق العربية وقتلها ،واستنكرت الجمعية تلك القرارات بقولها "إنها قرارات جائرة انتجتها ظروف خالية من الرحمة ومن الكياسة وأملتها أفكار خالية من الحكمة والسداد[23] ،وللمحافظة على هذا اللسان العربي من الحملات التغريبة الفرنسية اتخذ العلماء طرق جديدة لتعليم اللغة لعربية مما أثار دهشة لدى بعض المعاصرون الفرنسيون بقولهم أن العلماء قد أدخلوا "بيداغوجية جديدة" في حملتهم التعليمية وبناء على رأي" دي بارمي": فإن ابن باديس قد استعمل الطريقة الجديدة في محاضراته في الجامع الأخضر لكي يعد طلابه لمسؤولياتهم الوطنية ،فقد علمهم ابن باديس "المحفوظات العربية " والأناشيد الوطنية وكان الطلاب يحفظون ذلك وينشدونه في المناسبات الاجتماعية والدينية مثيرين بذلك روح الوطنية والتضامن الإسلامي والحرية ويؤكد "ديبارمي" أن هذه الطريقة لم تكن معروفة في الجزائر قبل الحرب [24]

وهذا ما يفسر تضحية العلماء في المحافظة على هذا الرمز المكون للشخصية الجزائرية العربية الإسلامية واعتباره في المرتبة الثانية بعد الإسلام كونه جزء لا يتجزأ عنه .

ج–الجزائر وطننا: وهي المقوم الثالث للهوية الجزائرية حيث؛ أدرك علماء الجمعية أن الجزائر هي الوطن الذي ينتمي إليه الجزائريون ،وأنها المكون الأساسي للهوية الجزائرية العربية الإسلامية ، وأن هذه الأرض الطاهرة لن تكون إلا للجزائريين ،وأن الجزائر لا ولن تكون يوما ما فرنسية فراحوا يسعون إلى تحقيق هذا الهدف ويقفون ضد كل من ينادي بالاندماج في فرنسا ، وغرست في علمائها وتلاميذهم روح الوطنية والانتماء لهدا الوطن وأن الجزائر لها تاريخها وماضيها ،فمن المساهمات الهامة التي قام بها العلماء خلال العشرينيات خلق وبعث التاريخ الوطني ،فبفضلهم نشر الماضي الجزائري وعرفه الطلاب ،وكان يدعون الجزائريين إلى اليقظة من سباتهم الطويل ،ومن ثمار هذه الدعوة بروز الشيخ الميلي كمؤرخ لتاريخ الجزائر بإعادة كتابته على أساس وطني مركزا على فكرتي الإصلاح والوطنية في فكره الإصلاحي [25] ،فقد ألقى ابن بديس محاضرة على أعضاء جمعية التربية والتعليم الإسلامية بعنوان "لمن أعيش "وقد كانت اجابته عن هذا السؤال :أعيش للإسلام والجزائر فيقول الشيخ أما العيش للجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني به روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص ،وتفرض علي تلك الروابط لأجله ،كجزء منه فروضا خاصة وأنا أشعر بأن كل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة ،وكما أنني كلما أردت أن أعمل عملا وجدتني في حاجة إليه ،إلى رجاله ،إلى ماله ،وإلى حاله ،هكذا هذا الإتصال المباشر أجده بيني وبين وطني الخاص في كل حال ،وفي جميع الأعمال ،وأحسب أن كل ابن وطن يعمل لوطنه ولابد أن يجد نفسه مع وطنه الخاص في مثل هذه المباشرة ،وهذا الإتصال [26]، وفكرة الكيان الجزائري قد طرحها ابن باديس خلال الثلاثينيات ،فبالرغم من أن معظم الكتاب متفقون على أن العلماء كانوا بعيدين عن السياسة ،فإنهم متفقون على أن هدف الجمعية البعيد كان سياسيا سواء أرادو ذلك صراحة أولم يريدوه ،ما أدى إلى اعتبار الجمعية خطر على الوجود الفرنسي في الجزائر [27]

خامسا: وسائل الجمعية في المحافظة على الهوية الوطنية: اتخذت جمعية العلماء المسلمين العديد من الوسائل لنشر دعوتها الإصلاحية الشاملة بين الجزائريين ومن تم الحفاظ على رموز الهوية الإسلامية العربية الجزائرية ونجد من بين هذه الوسائل:

أ– المسجد: كان للمسجد دورا بارزا في تعليم الجزائريين أمور دينهم قبل مجيئ الاحتلال الفرنسي وفي الجزائر قديما حيث كان المسجد قلعة ،ومدرسة ،ونواديا والاستعمار جرد المسجد من مهامه الأصيلة التي كان يتمتع بها وتتمثل في كونها كان قلعة يتكون فيها المجاهدون ،ويعلن فيها الجهاد ،ومدرسة يتعلم فيها الصغار مبادئ دينهم ويتفقه فيها الكبار ونواديا تلتقي فيه طبقات الأمة،وتتبادا الآراء حول قضايا العصر ولهذا كان المسعى الأول لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين هو أن تستعيد المساجد الإسلامية وتعيد لها ماضيها المشرق في الدعوة وتأليف القلوب وتوحيد الكلمة ولم تقف عند حدود المطالب باستعادة المساجد ،بل عمدت إلى بناء مساجد

حرة يعلو فيها صوت الحق جهيرا ،ودعوة الإسلام داوية مخيفة ،لأنها دعوة تدعو المسلم إلى الاعتماد على النفس ،وإلى نبد التوكل والتخاذل وتقدم الإسلام في مفهومه القوي كقوة معنوية ،وطاقة خلاقة ،على عكس اشاعته الخرافات بتشجيع من الاستعمار-بأن الإسلام دين القضاء والقدر بالمفهوم الاستسلامي الذي دفع المستعمرين إلى الادعاء "بأن الله هو الذي مكنهم من احتلال الجزائر وبأن القضاء والقدر هو الذي عمم سيطرة فرنسا على الجزائر[28]

ب-تأسيس المدارس: أدرك علماء الجمعية أن المدرسة هي اللبنة الثانية بعد المسجد والتي يستمد منها الجزائريين معالم شخصيتهم ويكتسبون فيها القيم والمبادئ التي تحميهم من المسخ في الثقافات الأخرى ،بعد قضاء الاستعمار الفرنسي على المدارس والمؤسسات التعليمية ،عملت جمعية العلماء المسلمين جاهدة على تأسيس المدارس العربية الحرة التي لم تكن تحت سيطرة الفرنسيين ،مؤيدة بأموال شعبية حرة ،ومن بين مدارس العلماء الرائدة "مدرسة التربية والتعليم "التي أنشأها ابن باديس في قسنطينة في أوائل العشرينات وقد تخرج من هذه المدرسة جيل كامل تحت ارشاد ابن باديس .[29]

ج-انشاء النوادي الثقافية والمراكز الثقافية :عملت الجمعية على الحفاظ على الهوية العربية الجزائرية الإسلامية بكل الوسائل المتاحة ومن بينها انشاء النوادي والمراكز الثقافية ففي سنة 1934كتبت جريدة "لا لوت سوسيال"تقول أنه لا يوجد مكان في الجزائر لم ينشأ فيه العلماء منظمة بطريقة أو بأخرى "وقد قال رحالة عراقي مجهول أن طلبة ابن باديس قد أنشأوا سنة 1928منظمتين "الجمعية الخيرية الإسلامية " وجمعية النيابة العربية وأضاف أنه كان قد زار ناديا عربيا في العاصمة حيث تنعقد المؤتمرات الثقافية وتوجد الصحف العربية القادمة من الشرق الأدنى ولا شك أن هذا النادي العربي هو نادي الترقي الذي أنشأه أنصار الإصلاح سنة 1927.[30]

د-إصدار الصحف: أدرك علماء الجمعية ما للصحافة المكتوبة من أهمية في نشر الوعي الوطني بين الأهالي الجزائريين فراحوا يسارعون إلى دخول هذا الميدان حيث؛ سارعوا إلى تكثيف حركة اصدار الصحف الإصلاحية وخاصة باللغة العربية فاتخذها العلماء لسانهم المعبر عن آلامهم وآمالهم وراحت هذه الصحف وغيرها تؤدي رسالتها الإصلاحية رغم سياسة الخنق والتضييق التي انتهجتها الإدارة الفرنسية ضد كل من تشتم منه رائحة الإسلام والاعتناء باللغة العربية وتحارب كل ما يساعد على إنهاض الشعب وتحريه [31]،فأصدرت العديد من الصحف بشكل فردي كصحافة ابن باديس «المنتقد" سنة 1925 ،ثم تحولت إلى أكبر المجلات تأثيرا خلال عقدين ولم تكن جريدة رسمية للعلماء حتى بعد خلق جمعيتهم ولكنها كانت ميدانا لكل المؤيدين المهتمين بالإصلاح الاجتماعي في الجزائر [32]، ومند 1933أصدرت جمعية العلماء صحفها الخاصة ،وهي بالطبع إصلاحية تعبر عن اتجاه الجمعية في التعليم العربي والنهضة الإسلامية ومحاربة البدع والطرقية المرتبطة بالإدارة الفرنسية حيث

اصدرت" الشريعة «و"الصراط" و"السنة" والبصائر "في عهدها الأول ثم صدرت في قسنطينة في عهدها الثاني قبل الحرب العالمية الثانية [33]،كانت هذه أهم الوسائل التي اتخذتها الجمعية من أجل استرجاع مقومات الهوية العربية الإسلامية الجزائرية وتكوين مفهومها واضحا جليا بين أوساط الجزائريين .

خاتمة: من خلال ما سبق توصلنا إلى أن مفهوم الهوية عند جمعية العلماء المسلمين يستمد من المبادئ والأهداف التي أقامت عليها الجمعية دعوتها الإصلاحية للجزائريين، كما يتضح مفهوم الهوية عند الجمعية من شعارها المتمثل في "الإسلام ديننا "و"العربية لغتنا "و"الجزائر وطننا " حيث عملت الجمعية بشتى الوسائل المتاحة من انشاء مساجد ومؤسسات تعليمية ،انشاء النوادي الثقافية والجمعيات ،واصدار للصحف على ترسيخ مفهوم الهوية [1]الوطنية الجزائرية العربية الإسلامية في أدهان الجزائريين بعد أن كادت أن تندثر وتذهب في الثقافة الفرنسية .

الهوامش:

[1]ابن المنظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، ص47-29.

2المرجع نفسه، م 6،ص29-35.

[3]حسن حنفي، الهوية، المكتب الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1 ،2012م، ص10-11.

[44]أحمد بملبكي وآخرون الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2013م، ص23.

[5]الجرجاني، التعريفات، المطبعة الخيرية، مصر ،1306هـ، باب الهاء، ص113.

[6]أحمد بملبكي، المرجع السابق ،ص23-24.

[7]بونيف محمد سامي، سبع عبد الكريم، البعد الهوياتي في بناء الدول المغاربية الجزائر نموذجا، مجلة الناقد للدراسات السياسية، مخبر أثر الاجتهاد القضائي على حركة التشريع، ع1، م3، أفريل 2019، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص213.

[8]أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرر (1830-1962)، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،2007م، ص97.

[9]محمد علي داهش، دراسات في الحركات الوطنية والإتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط،2004م، ص13

[10]أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط4، ج3، ص82.

[11]محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830حتى ثورة نوفمبر1954، دار البعث، الجزائر، ط1 ،1985م، ص107-109.

[12]الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج1 ،1997، ص11.

[13]محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص108-109.

[14]المرجع نفسه، ص110.

[15]أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط4، ج2، 1992م، ص397.

[16]أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص86-87.

[17]أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام البشير الإبراهيمي دار الغرب الإسلامي، ط1، ج1، 1997م، ص134-135.

[18]أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص398.

[19]جمعية العلماء المسلمين سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، دار المعرفة، الجزائر، دط ،1881م، ص148.

[20]أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، ص86-87.

[21]المرجع نفسه ص83.

[22]ناهد إبراهيم دسوقي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر والحركة الوطنية في فترة ما بين الحربين، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط،2001، ص15.

[23]أحمد طالب الإبراهيمي، عيون البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج1، 1997م، ص49

[24]أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المرجع السابق، ص400.

[25]المرجع نفسه، ص401.

[26]لكحل حمدي، اسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على الثوابت الوطنية، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع2، م6، 2021م، ص389.

[27]أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، المرجع السابق، ص87.

[28]محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص115-116.

[29]أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص398.

[30]المرجع نفسه، ص399.

[31]محمد أحمد جهلان، قضايا الإصلاح الاجتماعي في مقالات جريدة الأمة لأبي اليقظان، جمعية التراث ومؤسسة أبي اليقظان، غرداية، ط1، 2013م، ص30-31.

[32]أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص399.

[33]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج5، 1998م، ص253.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج1 ،1997م.
2. أحمد بملبكي وآخرون الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط1، 2013م .
3. أحمد طالب الإبراهيمي ،آثار الإمام البشير الإبراهيمي دار الغرب الإسلامي ،ط1، ج1، 1997م.
4. أحمد طالب الإبراهيمي، عيون البصائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج1، 1997م.
5. بونيف محمد سامي، سبع عبد الكريم، البعد الهوياتي في بناء الدول المغاربية الجزائر نموذجا، مجلة الناقد للدراسات السياسية، مخبر أثر الاجتهاد القضائي على حركة التشريع، ع1، م3، أفريل 2019، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر، بسكرة.
6. الجرجاني، التعريفات، المطبعة الخيرية، مصر ،1306هـ، باب الهاء.
7. جمعية العلماء المسلمين سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، دار المعرفة، الجزائر، دط ،1881م
8. حسن حنفي، الهوية، المكتب الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1 ،2012م.
9. أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،ط1، ج5، 1998م.
10. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط4، ج3.
11. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط4، ج2، 1992م .
12. لكحل حمدي، اسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على الثوابت الوطنية، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع2، م6، 2021م.
13. محمد أحمد جهلان، قضايا الإصلاح الاجتماعي في مقالات جريدة الأمة لأبي اليقظان، جمعية التراث ومؤسسة أبي اليقظان، غرداية، ط1، 2013م.
14. محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830حتى ثورة نوفمبر1954، دار البعث، الجزائر، ط1 ،1985م.
15. ابن المنظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، دط، دت.
16. ناهد إبراهيم دسوقي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر والحركة الوطنية في فترة ما بين الحربين، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط،2001م